دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: التفسير وعلوم القرآن : سورة النصر
المصدر: هدي الإسلام
الناشر: وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية
المؤلف الرئيسي: شقرة، محمد بن إبراهيم
المجلد/العدد: مج 16, ع 10
محكمة: لا
التاريخ الميلادي: 1972
الشهر: نوفمبر / شوال
الصفحات: 951 - 957
رقم MD: 413285
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: IslamicInfo
مواضيع: القرآن الكريم ، سورة النصر ، تفسير القرآن ، علوم القرآن
رابط: http://search.mandumah.com/Record/413285

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التفسير وعلوم القرآن

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ • ورأيتَ النَّاسَ يَدْخُلونَ في دينِ اللهِ أفْواجاً • فَسبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ واسْتَغفرهُ انَّهُ كانَ تَوَّاباً) •

بقلم الاستاذ : محمد ابراهيم شقرة
رئيس قسمي التعليم والتدريب
وزارة الاوقاف

تفسير سورة النصر

سبب ووقت ومكان النزول :

نزلت هذه السورة في حجة الوداع بمنى ، وهي آخر سورة نزلت تامة من سور القرآن(١) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : انزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع ، فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس(٢) ، وتسمى سورة التوديع ولما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الي نفسي وقرب الي أجلي ، فأخذ في أشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة ، ودعا فاطمة ابنته وقال لها : انه قد نعيت الي نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت : أخبرني انه نعيت اليه نفسه فبكيت فقال : اصبري

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٤ ص ٢٢١، القرطبي ج ٢٠ ص ٢٢٩ •
(٢) ابن كثير ج ٤ ص ٥٦١ •

فانك أول أهلي لحاقا بي فضحكت (٣) .

وفي البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم ، قال : فوجد بعضهم من ذلك ، فقالوا : يأذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا من هو مثله ، فقال لهم عمر : انه من قد علمتم ، قال : فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة . فقالوا : أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه ، فقال : ما تقول يا ابن عباس ؟ قلت : ليس كذلك ، ولكن اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حضور أجله فقال : (**اذا جاء نصر الله والفتح**) فذلك علامة موتك ، (**فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا**) فقال عمر رضي الله عنه : تلومونني عليه ؟ وفي البخاري قال عمر : ما أعلم منها الا ما تقول(٤) .

فضلها :

أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : (هل تزوجت يا فلان ؟ قال : لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج قال : أليس معك قل هو الله أحد ؟ قال بلى ، قال : ثلث القرآن . قال : أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح؟ قال : بلى ، قال : ربع القرآن . قال : أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ قال : بلى ، قال : ربع القرآن . قال أليس معك اذا زلزلت الارض ؟ قال : بلى ، قال : ربع القرآن تزوج) قال الترمذي : حديث حسن(٥) ، وقد تفرد به الترمذي .

غريب السورة :

النصر : العون ، مأخوذ من قولهم : قد نصر الغيث الارض اذا أعان على نباتها ، ومنع من قحطها ، قال الشاعر :

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي
بلاد تميم وانصري أرض عامر

والمراد بهذا النصر نصر الرسول على قريش قاله الطبري ، وقيل نصره على من قاتله من الكفار ، فان عاقبة النصر كانت له(٦) .

الفتح : فتح مكة ، وعن ابن عباس وسعيد بن جبير هو فتح المدائن والقصور وقيل فتح سائر البلاد ، وقيل ما فتحه عليه من العلوم(٧) .

---

(٣) فتح القدير جـ ٥ ص ٢٠٩ ، التسهيل جـ ٤ ص ٢٢١ .
(٤) القرطبي جـ ٢٠ ص ٢٣٢ ، أحكام القرآن جـ ٤ ص ١٩٧٩ ، ابن كثير جـ ٤ ص ٥٦١ ، فتح القدير جـ ٥ ص ٥١٠ .
(٥) فتح القدير جـ ٥ ص ٤٧٨ ، ابن كثير جـ ٤ ص ٥٣٩ .
(٦) القرطبي جـ ٢٠ ص ٢٢٩ .
(٧) المصدر السابق ص ٢٣٠ .

الناس : العرب وغيرهم ٠

أفواجا : أي جماعات فوجا بعد فوج ، وذلك لما فتحت مكة قالت العرب : أما اذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان ، فكانوا يسلمون أفواجا(٨) ٠

فسبح بحمد ربك : أي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له ٠

تفسير السورة :

قال الاستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله وغفر له في تفسيره العظيم (في ظلال القرآن) : « في مطلع الآية الأولى من السورة ايحاء معين لانشاء تصور خاص عن حقيقة ما يجري في هذا الكون من احداث ، وما يقع في هذه الحياة من حوادث ، وعن دور الرسول صلى الله عليه وسلم ودور المؤمنين في هذه الدعوى وحدهم الذي ينتهون اليه في هذا الأمر ٠ هذا الايحاء يتمثل في قوله : **(اذا جاء نصر الله ٠٠٠)** فهو نصر الله يجيء به الله ، في الوقت الذي يقدره ، في الصورة التي يريدها ، للغاية التي يرسمها وليس للنبي ولا لاصحابه من أمره شيء ، وليس لهم في هذا النصر يد ، وليس لاشخاصهم فيه كسب ، وليس لذواتهم منه نصيب ، وليس لنفوسهم منه حظ ، انما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم ٠ وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم ، وأن يقيمهم عليه حراسا ، ويجعلهم عليه أمناء ، هذا هو كل حظهم من النصر ومن الفتح ومن دخول الناس في دين الله أفواجا ٠

وبناء على هذا الايحاء وما ينشئه من تصور خاص لحقيقة الأمر يتحدد شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه بازاء تكريم الله لهم ، واكرامهم بتحقيق نصره على أيديهم ، ان شأنه ـ ومن معه ـ هو الاتجاه الى الله بالتسبيح وبالحمد وبالاستغفار في لحظة الانتصار ٠

التسبيح والحمد على ما أولاهم من منة ، بان جعلهم أمناء على دعوته ، حراسا لدينه ، وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه ، وفتحه على رسوله ودخول الناس أفواجا في هذا الخير الفائض العميم بعد العمى والضلال والخسران٠

والاستغفار لملابسات نفسية كثيرة دقيقة لطيفة المدخل ، الاستغفار من الزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس اليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح ، وفرحة الظفر بعد طول العناء وهو مدخل يصعب توقيفه في القلب البشري ، فمن هذا يكون الاستغفار ٠

والاستغفار مما قد يكون ساور القلب أو تدسس اليه في فترة الكفاح الطويل والعناء القاسي ،

(٨) المصدر السابق ص ٢٣١ ٠

والشدة الطاغية والكرب الغامر ، من ضيق بالشدة واستبطاء لوعد الله بالنصر ، وزلزلة كالتي قال عنها في سورة البقرة آية ٢١٤ : **(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنو معه متى نصر الله الا أن نصر الله قريب)** فمن هذا يكون الاستغفار ٠

والاستغفار من التقصير في حمد الله وشكره ، فحمد الانسان ـ مهما كان ـ ضعيف محدود ، وآلاء الله دائمة الفيض والهملان ، **(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** سورة ابراهيم آية ٣٤ ، فمن هذا التقصير يكون الاستغفار ٠

وهناك لطيفة أخرى للاستغفار لحظة الانتصار ، ففيه ايحاء للنفس واشعار في لحظة الزهو والفخر بانها في موقف التقصير والعجز ، فأولى أن تطامن من كبريائها ، وتطلب العفو من ربها ، وهذا يصد قوى الشعور بالزهو والغرور ٠

ثم ان ذلك الشعور بالنقص والعجز والتقصير والاتجاه الى الله طلبا للعفو والسماحة والمغفرة يضمن كذلك عدم الطغيان على المقهورين المغلوبين ، ليرقب المنتصر الله فيهم ، فهو الذي سلطه عليهم ، وهو العاجز القاصر المقصر ، وانها سلطة الله عليهم تحقيقا لأمر يريده هو ، والنصر نصره ، والفتح فتحه ، والدين دينه ، والى الله تصير الأمور »(٩) ٠

المسائل التي اشتملت عليها :

واتماما للمعنى لا بد من ابراز المسائل التي اشتملت عليها كل آية من آيات هذه السورة كي يكون متكاملا في ذهن القارىء وليقف على جوانب الاعجاز الكثيرة التي أحاطت بها تلك الآيات الثلاثة القصيرة ٠

ففي قوله **(اذا جاء نصر الله والفتح)** مسائل نختار منها أربعا :

الأولى : الفتح هو فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ان النصر هو صلح الحديبية والفتح فتح مكة ، وقيل : النصر اسلام اهل اليمن ، والاخبار بذلك كله قبل وقوعه أخبار بغيب فهو من أعلام النبوة(١٠) ٠

الثانية : النصر لا يكون الا من الله ، قال تعالى : **(وما النصر الا من عند الله)** فما الفائدة في هذا التقييد وهو قوله (نصر الله) ؟ والجواب ، معناه نصر لا يليق الا بالله ولا يليق أن يفعله الا الله ،

---

(٩) في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ٢٧٨ـ٢٧٩ ٠

(١٠) التسهيل ج ٤ ص ٢٢٢ ٠

أو لا يليق الا بحكمته ، يقال : هذا صنعة زيد ، اذا كان زيد مشهورا بأحكام الصنعة ، والمراد منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا ههنا ولله المثل الأعلى ، أو نصر الله لانه اجابة لدعائهم « متى نصر الله » فيقول : هذا الذي سألتموه(١١) ٠

الثالثة : لا شك ان الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم الصحابة من المهاجرين والانصار ، ثم انه سمى نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم (نصر الله) فما السبب في أن صار الفعل الصادر عنهم مضافا الى الله ؟ والجواب : ان أفعالهم مخلوقة لله عز وجل فيكون فعلهم فعل الله سبحانه باعتباره المؤثر الأبعد والمبدأ الأول ٠ فمن هنا صارت النصرة المضافة الى الصحابة بعينها مضافة الى الله سبحانه(١٢) ٠

الرابعة : اذا ظرف شرطي لما يستقبل من الزمان ، وقد وقع الفتح وتم النصر للرسول صلى الله عليه وسلم فاصبح ماضيا فما السر بالتعبير بإذا ؟ ، والجواب : اما أن تكون اذا بمعنى قد ، أي قد جاء نصر الله لأن نزولها بعد الفتح ، ويمكن ان يكون معناه اذا يجيئك فتكون متمحضة للمستقبل ، وقيل اذا بمعنى اذ ، واذ ظرف للزمان الماضي(١٣) ٠

وفي قوله (**ورايت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**) مسائل نختار منها أربعا كذلك :

الأولى : ظاهر لفظ الناس للعموم ، فيقتضي أن يكون كل الناس قد دخلوا في الوجود مع أن الأمر ما كان كذلك ، والجواب من وجهين : **الأول :** ان المقصود بالناس هم عقلاؤهم الذين اهتدوا الى الحق واعرضوا عن الباطل ، فدل ذلك على كمال عقولهم واستنارة بصائرهم ، فمن أعرض عن الدين الحق وبقي على الكفر فكأنه ليس بانسان وهذا المعنى هو المراد من قوله تعالى (**اولئك كالانعام بل هم أضل**) وقوله (**آمنوا كما آمن الناس**) ٠ **الوجه الثاني** في الجواب : روي أن المراد بالناس هم أهل اليمن ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : لما نزلت هذه السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن ، قوم رقيقة قلوبهم ، الايمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية(١٤) ٠

الثانية : دين الله هو الاسلام لقوله تعالى : « **ان الدين عند الله الاسلام** » ولقوله (**ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**) وللدين اسماء أخرى منها الصراط قال تعالى :

---

(١١) الفخر الرازي ج ٣٢ ص ١٥١ ٠ (١٢) المصدر السابق ص ١٥٢ ٠
(١٣) القرطبي ج ٢٠ ص ٢٣٠ ، فتح القدير ج ٥ ص ٥٠٩ بتصرف ٠
(١٤) الفخر الرازي ج ٣٢ ص ١٥٦ ٠

(**وان هذا صراطي مستقيما**) ومنها كلمة الله (**وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا**) ومنها النور (**ليطفئوا نور الله**) ومنها الحبل (**واعتصموا بحبل الله جميعا**) ومنها الهدى لقوله (**يهدي به من يشاء**) ومنها العروة (**فقد استمسك بالعروة الوثقى**) ومنها صبغة الله وفطرة الله وغيرها(١٥) .

الثالثة : قال دين الله ولم يقل دين الرب ولا سائر الاسماء لوجهين : **الأول :** ان هذا الاسم أعظم الاسماء لدلالته على الذات والصفات فكأنه يقول : هذا الدين ان لم يكن له خصلة سوى أنه دين الله فانه يكون واجب القبول ، **الثاني :** لو قال دين الرب لكان انما يجب عليك قبوله له لأنه رباك وأحسن اليك ، وحينئذ تكون طاعتك له معللة بطلب النفع فلا يكون الاخلاص حاصلا(١٦) .

الرابعة : الفوج الجماعة الكثيرة ، كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين ، عن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم فقيل له : ما يبكيك ؟ ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا(١٧) .

وفي قوله (**فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا**) مسائل نختار منها ثلاثا :

الأولى : قال الحسن : أعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم أنه قد اقترب أجله فأمره بالتسبيح والتوبة ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح ، فكان يكثر أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي انك أنت التواب(١٨) (**انه كان توابا**) تعليل لأمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار، أي من شأنه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم(١٩) . وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنهما قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القرآن(٢٠) .

الثانية : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فمم يستغفر وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ؟ وقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء الذي يطلب فيه من الله عز وجل مغفرة لذنوبه من ذلك دعاؤه (**اللهم اغفر لي ما**

---

(١٥) الفخر الرازي ج ٣٢ ص ١٥٧ .
(١٦) المصدر السابق ص ١٥٧ .
(١٧) المصدر السابق ص ١٥٧ .
(١٨) فتح القدير ج ٥ ص ٥١٠ .
(١٩) فتح القدير ج ٥ ص ٥١٠ .
(٢٠) فتح القدير ج ٥ ص ٥١٠ ، القرطبي ج ٢٠ ص ٢٣١ .

قدمت وما أخرت وما اسررت وما اعلنت ، انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير) . قال ابن العربي : كل ذلك مضاعف ، وهو صلى الله عليه وسلم منه برىء ، ولكن كان يستقصر نفسه لعظيم ما أنعم الله عليه ، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبا(٢١) كما انه كان يفعل ذلك شكرا لله عز وجل ، وقياما بحق النعمة عليه ، وخاصة ما أناله اياه من فتح ونصر وظهور للاسلام ، ويحتمل أن يكون بمعنى : كن متعلقا به سائلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في أداء الحقوق لئلا ينقطع الى رؤية الاعمال . وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا وقيل ذلك تنبيه لامته لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار وقيل واستغفره أي استغفر لامتك(٢٢) .

الثالثة : الآية تدل على فضل التسبيح والتحميد حيث جعله كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح ، وقد جاء في صحيح السنة صيغ كثيرة للتسبيح والتحميد مما يجدر بالمسلم أن يتعلمها أو يتعلم بعضها ليكون دائم الحمد والثناء على الله عز وجل بأفضل ما حمد وأثنى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم .

من ذلك ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال أو زاد عليه)** ومن ذلك أيضا ما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أمسى قال : **(أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا اله الا الله وحده لا شريك له)**(٢٣) .

هذا ومن خلال عرضنا لما حوته هذه السورة من معان وأحكام ومسائل يتضح للقارىء ان القرآن الكريم بكل سوره وآياته مناط الاعجاز ، ومصدر الالهام ، وجماع العلم ، ومرقى الفصاحة ، وعدة البلاغة ، فهو آية الله الباقية على الدهر لا تفنى عجائبه ، ولا تنقضي حكمته ، ولا تهن حجته ، نفعنا الله به وهدانا بنوره وجعله شافعا لنا يوم القيامة .

---

(٢١) أحكام القرآن جـ ٤ ص ١٩٨٠ .
(٢٢) القرطبي جـ ٢٠ ص ٢٣٣ .
(٢٣) الاذكار ص ٧٢ .